

المراجعات في المنظومة الفكرية والتراثية للمذاهب الإسلامية، ودورها في مواجهة التطرف وبناء وحدة الأمة.

أ. محمد قاسم حدبونة - جامعة غرداية - الجزائر

خلاصة المداخلة:

الغلُو والتطرفُ أيا كان، هو طِفْرَةٌ في الفكر الإنسانيّ، وشذوْذٌ في السلوك البشريّ؛ وأيا كانت مبرراته فطريقه حتماً إلى خراب، وحصاده دوماً مشؤوم؛ يشهدُ بفساده الشرع والطبع والواقع. وأمام تنامي ظاهرة الغلو والتطرف، كان لزاماً على رواد التسامح والأخلاق أن يعالجوا الظاهرة، ليردُّوا الشاردَ إلى حياض الاعتدال؛ فبالسلم والتسامح نؤسس لفهم الدين على مبادئ الإنسانية، وأسس أخلاقية، وليس على المذهبية والحزبية الضيقة.

ودون ذلك عمل متكامل دؤوب، ولن يجدي معه عنف أو شدّة لوحدها، إن لم يحقِّف من منابعه، بإعادة قراءة شاملة لجزء من تراثنا، صيانة لحاضرنا ومستقبل أجيالنا. وتلك خطوة تحتاج إلى جرأة وتكامل بين المذاهب الإسلامية، وتوحيد للجهود بين المجتمع المدني والحكومات والمنظمات.

توطئة:

الغلُو والتطرف -الدينيّ منه بخاصّة- هاجسٌ أرقّ الحكومات والمنظّمات، وغولُ أَرْهَبِ المجتمعات، وسرطان قطع أوصال التجمّعات؛ هو اليوم ظاهرة متنامية عابرة للقارات، تاه الإعلام في رصده، وحارت التحليلات في تشخيصه؛ وهل يُضبطُ ماردٌ ليست له ملامحٌ معروفة؟!، صنّاعه خفافيش تصطاد في الظلام، وعناصره البارزة دميّ لأيدي خفية تحتمي بستار المصالح ومنحرف المفاهيم؛ فللغلُو صنّاعٌ، يُظهرون رشداً في العلن، وإذا خلوا إلى شياطين تقات على الفتن وتتغذى على التطرف قالوا: إنا معكم، إنما نحن مستهزئون.

لقد بات الغلو والتطرف الدينيّ أخطر سبب لتفكيك وحدة الأمة، ورسم جراحات العالم الإسلامي؛ صحيحٌ إنّ له مداخل كثيرة منها، (الجنس، والعرق،

واللون..). لكنَّ غلوَّ "المذهبية" أعتاها؛ فما أخطَرُه من غلوٍّ حين يُختصر الدينُ في المذهب! ولئن كان نشوء المذاهب أو بالأحرى المدارس يُعبّر عن ثراء الفكر الإسلامي ومرونة في التشريع، إلّا أنَّ أفق الاختلاف قد يضيق، حين يرى فردٌ أو جماعة أنه هو الدين، والدين هو! وحين يعلو التكفير على التفكير، يستفحل الغلو ويستأسد التطرف، هنالك يُرفض الطرف الآخر ويُشيطن، إما بتهميشه واضطهاده، أو الانتقاص من حقوقه الإنسانية، أو بالتمييز ضده أو الامتياز عليه، إن لم يكن إباحة قتله! هذه هي البكتيريا الفكرية التي صبغت جزءا من تراثنا، لتصنع واقعنا اليوم. ومن تمام الواقعية أن نتشجع ونعترف أنَّ هناك حالة من الطائفية المتجدرة في المجتمعات الإسلامية، وأنَّ الخطاب الطائفي الغالي —من الغلو— بات يُسمم أجواء السلم والاستقرار في العالم الإسلامي، ويهدد بالزوال مفهوم الأمة الجامع، ويعصف بوحدة الأوطان؛ والسؤال الملح لدى كلِّ غيور على الدين، هو كيف السبيل إلى الخروج من هذه الوعكة الحضارية، وكيف التخلص من هذا الفكر المأزوم؟

وفي سعي إلى العلاج —في غير جرأة ولا غرور— فإن جرعة من مضادات التكفير لا بدَّ أن تُحقن من خلال جراحة موضوعية في جزء من تراثنا الشاسع، الذي حمل حيناً من الدهر شيئاً من اللوثة الفكرية التي ليست من الإسلام في شيء؛ فما كان الغلو والتطرف من الإسلام في شيء! كيف وهو دين الوسطية، والاعتدال، والعقل، والحرية وتحمل المسؤولية... كلُّ ذلك عدو للمتطرف الغالي في الدين. إن الغلاة والتكفيريين أيّاً كانوا، لا دين لهم ولا مذهب، هذا هو جوهر المسألة. لذلك فإن حفر أركيولوجيا في عمق الفكر الإسلامي هو حتم لا خيار، لغرض الوقوف على الاختلالات التي حوّلت التسامح إلى عنف، وسعة الإسلام ومرونته إلى ضيق وتصلب.

وترنو المقالة إلى تقديم قراءة نقدية للتراث، فيما يُظنُّ أنها منابع تغذي الغلو ومصانع تنتج التطرف، إنها دعوة إلى مراجعات في المنظومة الفكرية والتراثية للمذاهب الإسلامية، وهي في نظر الباحث تصب في الجهود الساعية إلى معالجة الغلو

ومواجهة التطرف، ذلك العبء الذي تنوء بحمله الجبال، إن لم يكن عملاً دؤوباً مستمراً منسقاً، تتعاون فيه الحكومات والمجتمع المدني، وتتكامل فيه المؤسسات التربوية مع المحضن الأسري وتأطير الهيئات الدينية.

وبين يدي هذه المراجعات منطلقات ضرورية، تستدعيها حساسية القيام بالمراجعة، هي بمثابة الضمانات الواجب توفرها لفعالية العلاج؛ لكنها بخلاف المؤلف، لأن جو التعصب والطائفية المتراكمة لقرون، هو ما يركم الأنوف حالياً، ويملاً الأسماع صوتُ التفرقة والتشرذم ليعلو على الوحدة والتسامح؛ لذلك فإنَّ تصحيح الوضع الراهن يحتاج من المسلمين قاطبة إلى كثير من الشجاعة والإرادة من أجل أمن حاضرننا ومستقبل أجيالنا.

1) منطلقات بين يدي المراجعات:

أولاً: الفصل بين "النص" و"فهم النص"؛ فلا عصمة إلا لنصّالوحي:

لن يكون ثمة سعي جاد، وجهدٌ مثمرٌ لتجفيف منابع التطرف والغلو إن لم نتجاوز نظرياً وعملياً مرحلة الفصل الحقيقي بين ما هو "نص" مقدس وما هو "فهم للنص" يُصيب ويخطئ؛ ومن دون ذلك ستبقى الدعوة إلى نبذ الغلو وتجفيف منابع التطرف مجرد شعاراتٍ خوفاء تسوّق في مناسبات للتقارب ونبذ الخلاف، ليعود كلُّ مذهبٍ وكلُّ اتجاه إلى تمجيد اجتهادات أساطينه وقراءات علمائه!

ما جدوى إنكار الخلل الحاصل في تكوين أجيالنا، وفي تراثنا ومنظومتنا الفكرية من الأقوال والآراء التي تغذي الغلو وتمجد التطرف لتقدمه بأنه التدين السليم؛ يُردّد جزءٌ منه في منابرنا، ويلقن لأبنائنا في مؤسساتنا التربوية من الإعدادية إلى الجامعات.

إنَّ الدعوة إلى مراجعة التراث —أي تراث— ومساءلة المؤلف ليس بالأمر الجديد في تاريخ الفكر الإنساني؛ إنها دعوة ترد أحياناً على ألسنة بعض المصلحين والمجددين، ومنها جائزٌ تُبَيِّت شراً وتصدر عن نية مأكرة ترتب سوءاً؛ وفي كلِّ الأحوال فإنَّ الطبع البشري يغلب عليه إلفُ المعهود والأنسُ بالقديم، وحين يسود منطق "إننا وجدنا آباءنا"

يُغتال العقل، ويُغيبُ منطقُ التفكير وتغليب المصلحة؛ لذلك كان الإصلاح والتجديد أو الثورة على القديم غالبا ما يثير قلقا وهاجسا لدى أنصار التراث، وبلبله وفوضى بين دعاة التجديد وحماة المؤلف؛ ولكلِّ حالة لبوسها، فماكلُّ دعوة إلى التجديد بريئة، وما التغيير والإصلاح دوما بالسوء والألقاب التي يُنعت بها، فقد يكون أمر التغيير حيويا ولازمة لا بد منها.

ويقصد بمراجعة التراث في الفقه أو العقيدة والتاريخ، تبرئة الدين من فهم خاطئ متراكم ليس منه، جاء على ألسنة بعض العلماء أو شغل توجها لفئة أو مذهب معين؛ وأيا كانت الظروف الزمانية والمكانية لأي رأي غالٍ فلن يقبل، فدين الإسلام منه براء. ورسالة الإسلام جاءت لتصون إنسانية الإنسان وتحفظ له كرامته، ولا عبودية إلا لله الواحد الأحد، ومحال أن يُستعبَد إنسانٌ جبِل أن يكون حرا، له حرمة الدين والحياة والعقل والعرض والمال، لذلك كان النبي ﷺ إلى آخر مواقف حياته، يحذّر في خطبة الوداع من الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض؛ (1) هذا ما يجعل كل فتوى أو اجتهاد أو فكر، يُبيح الاعتداء على حقوق الإنسان أمراً مرفوضاً، لمصادمته نصوص الشرع وكليات الدين.

بيد أن التراث الإسلامي وفي مراحل مختلفة لم يسلم من الاستبداد بالرأي، ولم يكن في منأى عن التطرف في الفكر والغلو في الدين، وقد حاولت اجتهادات كثيرة أن تبرّر قولها وفعلها الآثم المناهض لإنسانية الإنسان بالاحتماء بنصوص الشرع، فكان القتل واستحلال الدماء والأموال والأعراض بكلمة الله وباسم الدين!! وكلُّها أقوال واجتهادات تمثّل حالة من التعامل مع النص، محالٌ عليها التقديس الذي يصنع اليوم قناعات دينية؛ ومن الثابت أن أيّ قراءة للنص مهما أوتيت من أسباب التمكّن فلن تبلغ درجة النص، ومحالٌ عليها القداسة التي ترفعها إلى مرتبة النص، إن هي إلا "نتاج مفتوح غير دوغمائي، لا يمثل سلطة إطلاقية نهائية، ما دام هو نقديّ في بنيته، يمكن تجاوز نتائجه". (2) إن الذي يستأثر بالإطلاقية والقدسية هو الوحي الإلهي وحده.

وعليه فإن الدعوة إلى مراجعة التراث تعني الانفكاك عن أقوال لعلماء أو آراء في مذاهب أثبتت ثباتها، وأضررت بواقعنا، فلا مكان لمن يرفع شعار القداسة لهذه الأقوال والآراء، ليجعلها بعيدة عن المساءلة والمراجعة، وكأنها وحي منزل. ولنا أن نتأمل كم من فكر متطرف وموقف غالٍ منطلقه فهم للنص وليس هو النص، وكم هي الأحداث التي نعيشها، ينفخ في رمادها فكرٌ يقْدَسُ القديم وإن أضرَّ بالحاضر.

ثانيا: تنقية التراث مما علق به يلزم الجميع، وليس لفكر أو مذهب أن يعفي نفسه من النقد الداخلي:

الفكر الإسلامي غزيرٌ في إنتاجه خصيبٌ بتوجهاته، وثرأؤه من تحوُّر هذا الفكر حول نص الوحي "يستعيده ويقرأه، بشرحه وتفسيره، وبتأويله والاستنباط منه، وفي كل مرة يقرأه قراءةً جديدةً مغايرةً"؛ (3) وليس لمنهج قراءة بشريٍّ - مهما أوتي من أسباب القراءة الصحيحة- أن يدَّعي بأنَّ المعنى المتوصل إليه هو المقصود بعينه ولا معنى بعده، (4) أو "أن يستنفذه ويغلقه"، (5) فذاك محضُ ادِّعاء، وتحنيطٌ للنصِّ القرآنيِّ. هذا ما يجعلنا أمام فرضية انطلاء كلِّ مذهب أو فكر بمواطن قوة ونقاطٍ ضعف تحمل عطلاً جاء تحت وطأة ظروف معيَّنة، ومحالٌّ أن يشكل تراث مدرسة بعينها الخيرَ كلَّه ويستأثر بالصواب وحده، وهو عين ما تسعى إليه طائفةٌ من متعصبي كلِّ مذهب أن يكرسوه، بأن ينسبوا الصواب لاجتهادهم، لينأوا بأنفسهم وعلمائهم عن الخطأ؛ ثم يرمي بالنيضة والزيف المذهب المخالف. وبالمحصلة فإن كل المذاهب صحيحة بالنظر إلى الذات، وكلُّ المذاهب على خطأ بتوجيه النظر إلى الغير. والصواب أنَّ تنقية التراث مما علق به يلزم جميع المذاهب، وليس لفكر أو مذهب أن يعفي نفسه من النقد الداخلي.

ثالثاً: ليس من المراجعات "قبول كلِّ شيء أو رفض كلِّ شيء":

دأبت أبجدياتُ في التاريخ للمذاهب والأعلام على لونٍ من النرجسية المذهبية والمغالاة في تقديس بعض الأعلام، فليس غريباً أن نجد منظومة من عبارات التمجيد والألقاب التي ترفع مذهباً أو علماً من الأعلام فوق مرتبته التي هو حريٌّ بها، وتغرق

بالمقابل في ذم المخالف في الرأي والاجتهاد بغض النظر عما توصل إليه من حقّ وصواب! وجلُّ ذلك الانحراف يكون صادرا ممن يقدّس الفهم على حساب النصّ، ومصدره غالبا "متعصّب ذميمٌ أخلّد إلى حضيض التقليد، ولم يدّر ما يُدري في الفقه، وما يعيد، هجر القرآن، والسنة، والقُدوة بصاحب هذه الرسالة صلى الله عليه وسلم، ونصّب إمامه غير المعصوم محلّ النبي المعصوم، فجعله الواسطة بينه، وبين ربه، فلا يدين بدليل، ولا تعليل سليم، وجعل: (المتن في المذهب) له قرآناً، وشُروحه له سنة وتبييناً، فالحق عنده ما قاله، أو استروحه هو من مذهب إمامه، وإن خالف الدليل.. لقد أوجدوا الشقاق! وتشقيق الأمة" (6) وقد أورد الإمام الصنعاني وغيره مواقف واضحة لحالة من الانحراف الذي طبع الأمة في بعض مراحلها. (7)

وبديهي أن يحرك هذا الإغراق في التمجيد ردة فعل عنيفة على كلّ توجّه بالنقد إلى هذا المقدّس التي لا تطاله المساءلة، فالصواب دوما ظلّه، بل يُبرّر خطؤه حتى وإن تأكّد، ويدافع بكل استماتة عن آراء تصنع جراحاتنا، وكأن الدين لا يقوم إلا بها. ولفكرة مسح الطاولة أو التعميم "قبول كل شيء أو رفض كل شيء" أثر بالغ في تخلف المراجعات، فأنت إن راجعت عالماً اتهمت بمعاداته! ولو تركنا النقد يأخذ مجراه لكان من الطبيعي أن نحصل على زبدة من المفيد مخلصاً من ضارٍ أرهق واقعنا كثيرا، أما قاعدة كل شيء فهي مؤشر على رفض المراجعات التي أساسها نرجسية قاتلة للأمة. على أنّ تخليص مذهب أو عالم من أقوال وآراء خاطئة يغدو واجبا، لأن العصمة لم تكن لهم، ونقدُهم ورد بعض اجتهداتهم لا يعني البتة تجريحهم أو نفي الناصع من فكرهم، فلكل مأخوذ ومتروك. فالعلماء على جلاله قدرهم هم بشر تعزيرهم آفات، ولم يسلموا من "فشو أمراض خلقية فيهم، حالت بينهم وبين السمو إلى مرتبة الاجتهاد، فقد فشا بينهم التحاسد والأنانية" (8)

(2) معالم في طريق المراجعات:

أ) تنقية التراث من ألقاب الهمز والتصنيف:

تكتسبُ التسميات ذات الصبغة الدينية هالةً من التقديس، وتتكلس عبر الزمن، ولها فعلها المخاتل في التصنيف والتقسيم، وتبقى أغلبها غير خاضع للمساءلة في أحقية إطلاقها ولا في انطباقها، بل حتى في ضبط معناها، فبعضها انشطارياً يحمل أكثر من دلالة وله أكثر من تفسير. وتؤدي الألقاب والتسميات دور الزناد لإشعال فتن ورسم جراحات العالم الإسلامي، وأغلب النزاعات تستند إلى حرب كلامية جارحة ذخيرتها من هذه الألقاب، يطلقها العوام كما العلماء، وتحمل في طياتها شحنة من الكراهية والحقد.

وعبر تاريخ الإنسانية كان للتسمية شأن عظيم عند الناس، فبالاسم يشرف الإنسان ويمدح، وبه قد يذم ويقدح، ولا عجب أن نجد أن النبي ﷺ أبدل بعضاً من أسماء صحابته، فللاسم واللقب انعكاسات إيجابية أو سلبية بينها أهل الاختصاص من علماء النفس والاجتماع. وحيث ثبت للتسمية هذه الأهمية فقد تتحول إلى وسيلة للإضرار والاعتداء، فكم من ناس شقوا بما نسب إليهم من تسميات، وكم أزهقت أرواحاً بألقاب تسموا بها أو ألحقت إلى أداة للتمييز الجائر، فيلحق من يصلها النبز والهمز واللمز، بغرض الاستهزاء أو التنفير، والخط من القدر والشأن؛ لذلك سدّ الشرع الحنيف هذا الباب، لأن الاعتداء بالتسمية من الموبقات التي تفسد الود بين الناس، وتزرع الشقاق بين الجماعات.

وتراثنا الإسلامي طافح بقاموس من ألقاب النبز والتجريح والتصنيف من منطلق ديني، بسببها سام من ألصقت بهم سوء العذاب وشؤم المآب؛ إذا التاط بها عالم لاحقته حتى ضيق عليه، أو سجن لينتهى الأمر ببعضهم إلى الموت. ومن الألقاب ما أطلق على جماعة أو اتجاه تمييزاً وتلميزاً. والعجيب أن هذه الألقاب والتسميات الجارحة لا تزال تحافظ على فاعليتها وتأثيرها إلى يومنا، فهي اليوم توظف بنفس الحدة في منابرنا، وفي وسائل الإعلام الحديثة، وفي وسائط التواصل الاجتماعي، ولم تسلم منها شعارات على الجدران كُتبت،

أو في مناسبات طائفية حُملت.. هذا ما يجعل الألقاب والتسميات لها اليد الطولى في تكريس الغلو والفكر المتطرف، وباتت التصنيفات من المسلمات التي لا تناقش ولا ترد، بل إن نصرة طائفة دون أخرى تتخذ منها الذخيرة والوقود. (9)

ومما لا شك فيه أنَّ لهذه الألقاب الجارحة لحظةً ميلاد، ومورداً كان سببَ نحتها، قد يكون التعالي، أو الحَقَّة، أو الطَّيش، أو الغضب، كما يلتبس أثناء نحت اللقب السبب السياسي بالديني، ويتقوى العرقي بالمذهبي، ولن تعد سببا لإبداعها، أطلقها عالم في لحظة ضعف وضيق أفق، وربما رعاها الجوُّ المتوتر وشحنها الوضع السياسي ثم تلقفها العامة ورددوها، وجعلوها من مسلمات الدين، وللشعراء والمؤرخين وكُتَّاب السير والفرق والمقالات وعلم الرجال إسهام في نحتها وترسيخها؛ وما كان التعبير ولا الشتم يوما سمة لأهل العلم ولا دليلا على التفوق، إن هو إلا الخور في الإقناع وسوء في الطباع. ويتحمل مسؤولية اللقب شرعا من نحت أول مرة، وكل دم أريق أو عرض انتهك هو في رقبته، وكفى بالله حسيبا، ولكل امرئ من بعد ذلك ما اكتسب من الإثم، من تابعه عليه فكره ورسخه. وفي مضغه واجتراره آفة خلقية طَمَسَتْ كثيرا من حدود الله المتعلقة بالأعراض؛ ومن المفارقات أنَّ تصنيف الناس واعتبار أقوالهم ونتاج أفكارهم بات خاضعا إلى مثل هذه الألقاب التي تحمل تصنيفا بالتبع. شقي المسلمون عبر تاريخهم بهذي التسميات التي ما زادتهم إلا تفرقا وتشردما. فكيف نلزمها لأنفسنا ونحن لها كارهون؟! أكانت هذه الألقاب والتقسيمات حتما لازما، لا مناص من اجترارها لنفهم خريطة المسلمين. تلك سوءة لحقت بالمسلمين عبر تاريخهم، يمكن التخلص منها بالحد من ترديدها واستعمالها.

إنَّ الظاهرة تعبر عن مخالفة صريحة لمبادئ الدين، لا أفهم كيف يكتب عالم في آفات اللسان وفي الأخلاق وحقوق الجماعة ثم ينتهج هذه التسميات بما تحمله من تصنيف وكأنها وحي منزل. أو تتابع الفتاوى مع فقيه موسوعي، وبأسرك بخطابٍ وعظيٍّ عن اللمز وخطره، وعن الهمز والنبز وأثره، ثم هو يخيب ظنك حين يُسأل عن فرد أو فكر ضمن دائرة المسلمين، فينعت به بأشنع الألقاب، ويسمه بأقبح التسميات، مستندا في ذلك إلى

أقوال من أهل العلم بالجزء والصفحة! وبعقل مقفل يردّد الأقوال خارج سياقها التاريخي، حين لا يأبه مسلمٌ معاصر أن يطلق هذه الألقاب وهو منعم بهواء مكيف، أو يكتب مقالته وهو مستخف وراء جهازه، لتسلط أشنع المواقف والأحكام على مجموعة من الناس صنفتهم الأقدار فكانوا من المذمومين عنده، لم تشفع فيهم لحمة الدين ولا العقيدة ولا الوطن؛ لقد باتت هذه الألقاب تعلو على مفهوم الأمة الموحد تحت مسمى "المسلمين"، وتعلو فوق الانتماء للوطن.

ب) ألقاب التمجيد والمفاضلة:

بديهي أن يقابل ألقاب التحريج التي تلحق الغير، ألقاب من التمجيد والمفاضلة تفننت كثيرٌ من الكتابات في إيرادها، وجعلها حصراً على جماعة دون أخرى. والفعل بين المدح والذم له نسقه الفيزيائي من الفعل ورد الفعل، فحيث نشط التمييز مدحا زاد التبريز ذمّا. ولعلّ أكثر مصطلحات المدح إثارة للجدل وتنازعا في الأحقية هو مصطلح "أهل السنة" أو "أهل السنة والجماعة"، أو "الفرقة الناجية"، أو "الطائفة المنصورة" حيث تجدل للتسمية وما أدلى إليها أصلا في الأحاديث؛ ما ثور إشكالا - كان ولا زال - فيمن يتفياً ظلال هذه التسمية؛ فمن حيث المبدأ لم يكن ثمة إشكال في التعريف بأهل "السنة والجماعة" أنه من كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، لكن الفصل في الأحق بالتسمية كان مثار جدل كبير، ولم تسكت فرقة أو مذهب عن أحقيتها في التسمية. وقد تجاذب أهل الحديث والأشاعرة الأحقية، ونافح كلٌّ منهما أنه الأحق وأنه الممثل التمثيل الصحيح للإسم والإسلام، وهذا وجه تنازع؛ ودون ذلك التقسيم التاريخي المشهور، الذي يقسم المسلمين إلى أهل سنة وشيعة وخوارج، ولم يكن طرف ليرضى أن يبعد عن وصف السنة، بل كلهم من رسول الله مغترف. (10)

فمن تبوأ عرشها أقصى الآخر. وآفات التمييز انعكاس سلبي على مختلف جوانب الحياة، وفي حمى من الانتساب والإقصاء أغفلت كثيرٌ من المناهي الشرعية الآمرة بعدم التأله على الله جلّ في علاه ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (سورة النجم: 32) ولم

يكن من السهل الفصل بين مباحث العقيدة والفقه، فقد كانا متلازمين، وأثر الاختلاف في مباحث الكلام على الفقه، وألقى عليه بظلاله، (11)

وليس لنا من مخرج إلا تجاوز هذه الألقاب التي أرهقت واقعنا لإصلاح وضعنا، ولنعد إلى (المسلمين) تسمية الله الجامعة، فمبعث الرسول محمد ﷺ كان رحمةً وهداية للعالمين، وبمبعثه تمت نعمة الدين، وكفى بالإسلام نعمة، تُسمَّى الملتزمين بها باسم المسلمين؛ إنها تسمية من الله رب العالمين مشرّع هذا الدين. وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ (سورة الحج: 78). والضمير (هو) يعود إلى الله سبحانه. "وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَمُجَاهِدَ وَالضَّحَّاكَ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ أَيْ فِي كُلِّ الْكُتُبِ وَفِي هَذَا أَيْ الْقُرْآنَ". قال الإمام الطبري "الذي سمّانا مسلمين من قبل نزول القرآن، وفي القرآن، الله الذي لم يزل ولا يزال". (12) فالأصل في المسلم أنه لا يعرف بلقب أو رمز يميزه عن غيره سوى الإسلام. والله درُّ القائل: (13)

أَيُّ الْإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ ... إِذَا افْتَخَرُوا بِبَكْرٍ أَوْ تَمِيمٍ
بَدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ لَمْ أُجِبْهُمْ ... وَلَا يَدْعُو بِهَا غَيْرُ الْأَثِيمِ
دَعِيَ الْقَوْمَ يَنْصُرُ مَدْعِيَهُ ... لِيَلْحَقَهُ بِذِي الْحَسَبِ الصَّمِيمِ

ج) هل نحن ملزمون بالتقسيمات التاريخية لفهم حاضرنا؟

كان من أثر التمييز بالألقاب أن اكتوى العالم الإسلامي بتقسيمات تاريخية، تسوّق اليوم أنها مسارٌ لا بدّ منه لفهم خريطة المسلمين، رسمتها الفتن التي وقعت بين المسلمين، منذ عهد الفتنة بمقتل الخليفة عثمان بن عفان، بل بوفاة النبي ﷺ واجتماع السقيفة، كل ذلك ألقى بثقله على واقع المسلمين اليوم. وتُحَيَّن كثيرٌ من الأحداث وتسترجع، في مناسبات تلصق بالدين، وهي وقود لإذكاء الفتن وترسيخ الكراهية والحقد؛ ويغذي الجاهلية والطائفية إعلاماً بائد يستثمر في التفرق، ويجعل من البكاء على أحداث غابرة جزءاً من التدين، ينقل من التاريخ أسودّه ومن الملاحم أرواحها، لتكون شبيهةً بيوم بعاث وما شاكله

مما حرّم الإسلام الحنيف استذكاره. وفي البلد الواحد الذي يضم طوائف عدة ومذاهب شتى، تكون أمثال هذه المناسبات سببا للطوارئ، ويحاكم مسلم هذا العصر بأحداث من التاريخ مضى عليها القرون.

إنّ غلوا من هذا النوع باسم الدين، لي طرح أكثر من سؤال وعلامة استفهام حول جزء من تراث يرسم لنا جراحاتنا. أنحن ملزمون أن نقرّر مصيرنا ونوجّه حاضرننا ومستقبلنا من بوابة هذا التاريخ؟ ألا يمكن أن نغلب ما يجمعنا على ما يفرّقنا؟ ألا يمكن تجاوز هذا التاريخ نهائيا؟ كيف استطاع الأوروبيون تضييد جراحات قريبة، واستبدالها بالمصالح المشتركة، وعجز المسلمون عن تجاوز قرون من الفتن؛ بل ما هو التاريخ أصلاً؟ أهو العبرة والاستبصار من أخطاء الماضين، أم هو تجرّع اللاحقين لمظالم الغابرين؟ أي ضمانة أن ما كتب من هذا التاريخ صحيح! أسلمت الكتابات التاريخية من الذاتية؟ أكانت لها من طرق تمحيص الرواية ما حظيت به الأحاديث، ومع ذلك لم يسلم الكثير منها؟ كيف يسوق مروجو الفتن من الطائفيين أخباراً غابرة بكل وثوق، ولم تفهم أحداثاً من الفتن من حولنا جارية، ونصر أن نتخذ موقفاً واضحاً من أحداث ومن أشخاص بعينهم؟ ألا يُستغرب أن يفرّق الصحابة الكرام بين المذاهب الإسلامية نقداً وذماً حتى لم يسلم صحابي من سيف النقد والتجريح؟ وأمرهم إلى عالم السر وأخفى. وأخيراً كيف يمكن لعقيدة أو فقه أن يبنى على التاريخ وأكشره ظن.

إنّ بين الفقه والتاريخ تداخل عضويّ، فالفقه نما وسط حركية بشرية أرّخها الكتاب، لكن صياغة التاريخ تتدخل فيها عوامل كثيرة؛ منها الواقع الفقهي، الذي لم يسلم من غوائل السياسية، والأغراض الشخصية، والنزعات القبلية والعرقية. وقد يعرف كل ذلك تحالفات وتحالفات؛ لذلك برزت الأقوال والآراء والروايات، وغالبا ما تتلمس الآراء والاجتهادات سنداً لها من الأحاديث ومن الصحابة ومن كبار التابعين. وكلها في حاجة إلى تمحيص. وهي من أخبار التثبت التي لم يحتط قائلوها بأن يعدوا جواباً ليوم القيامة. يقول الدكتور إبراهيم مذكور معلقاً "حاول كل أن يجد في الكتاب والسنة ما ينتصر له، ولو بأضعف

الروايات، وربما دفعت الخصومة أو سوء النية إلى شيء من الوضع والتلفيق، وعلى الباحث أن يلحظ ذلك وينتبه إليه، وألا يأخذ بالروايات على علائها، والحزبيات الطائفية والمذهبية ليست أقل خطراً من الحزبيات العنصرية والسياسية، وكثيراً ما حملت أصحابها على تصوير الأمور على غير وجهها، واختلاق ما لا أساس له". (14)

د) تجريم الاعتداء الطائفي ومحاصرة الفكر الغالي:

وهو تحدّ قائم على أعناق العلماء والساسة، والحكومات والمنظمات، أن يسدّوا الطريق أمام كل أشكال الاعتداء باسم المذهبية؛ (15) بمعنى اعتبار الطائفي الذي يرفض الآخر أو يعتدي عليه، هو ظالم لنفسه وللآخر معاً، وبالتالي لا دين له ولا طائفة ولا مذهب، وسنّ الإجراءات الرادعة له.

ومن المهم أن ندرك أنّ القضاء على غلو المذهبية والطائفية عمل دؤوب، لأنّ الغلو إذا تحوّل إلى قناعة وضرب أطنابه، وتناقلته الأجيال، ومجّده علماء، فإن غسل هذه المفاهيم لن يكون بالأمر الهين، لن يكون عمل يوم وليلة، أو بحلّ سحري نحصل عليه بين عشية وضحاها؛ علينا أن نعترف أن الطريق شاقّ وطويل، يتطلب الإيمان بخطورة الوضع، والتعاون المشترك على مستوى العالم الإسلامي، ثم رسم خطط مدروسة واستراتيجيات دقيقة ناجعة لعلاج الغلو والطائفية، ومن المهم أن تتبنّى مشاريع قوانين لمحاصرته ومكافحته، وتجريمه بكافة أشكاله وأنواعه ومستوياته، للتمكن من اقتلعه من جذوره، وليس فقط محاربة بعض مظاهره كما هو شائع، في التقريب بين المذاهب.

ومن أوجه المحاصرة مقاطعة كل شكل من الأشكال الرامزة للطائفية (شعارات، ألقاب، مناسبات، فعاليات، منشورات، قنوات..)، فالعالم الإسلامي اليوم يعجّ بمناسبات وممارسات تبرمج الناس على النزعة الطائفية، وتجعل الغلو يبيض ويفرخ متشددين متزمتين، ومن المناسبات ما يستذكر من التاريخ شخصيات وأحداثاً تؤجج العواطف، وتحين الفتن. وقد طبّق مفهوم المقاطعة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، إذ كان له من الجرأة أن يوقف ويعرض عن الشواغل التي كانت تحرك الطائفية بين المسلمين، ومنها قوله

المشهورة، لما أوقف التطاول على الصحابة الكرام، والدخول فيما شجر بينهم بمقولته المشهورة " تلك دماء كف الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها". (16) ماذا لو كان هذا منهجا متبعا من بعده، ونراه اليوم في منابرنا وجامعاتنا، في مؤلفاتنا وقنواتنا؟ إذن لكان للعالم الإسلامي اليوم شأن آخر.

فلا بدّ إذن من مقاومة **المصانع المنتجة للغلو** ما دامت الكلمة مجتمعةً على مضار الغلو والفكر المتشدد غير المتسامح، فمن المستغرب السكوت عن مصانع الغلو التي تنتجها وتصدره وتروج له وترعاه، (من قنوات ومواقع وصفحات وإصدارات مطبعية ومناهج جامعية) ولا يكفي التنديد والرفض مع تجاهل لمصانعه، دون التعرض إليها ولو بالإشارة، ومن أشار إلى مصادر الغلو فإنه قد يشير إليها باحترام وتقدير، وهذا الموقف لا يتناسب ولا ينسجم مع موقفه المعلن من الغلو والطائفية المذهبية، إذ كيف يكون الشخص ضد التطرف ومع منتجيهام وروجيها في آن واحد؟! ودون تخفيف منابع الطائفية فهي **مقاطعة كاذبة**، فلا يجتد العزم حقيقة في مواجهة شبح التطرف والفكر الغالي إلا إن واجهنا بكلّ **شجاعة** كلّ فكر يروج للطائفية، الفكر الذي لا يقبل الآخر (يكفره، يعاديه، يكرهه...) أما أن ندعي محاربة الغلو وفي أدبياتنا الدينية ما يشجّع عليه ويدعو إليه فهو أمر غير مقبول، لأن هذا سيوقعنا في ازدواج الشخصية، فمن جهة نتغذى على مائدة الفكر المتطرف، ومن جهة أخرى نطالب بعدم القيام بالسلوكيات الطائفية، إذ كيف نجتمع بين هذا وذاك، ولا يسمى ضدّ الغلو من ادعى أنه ضده، لكنه يحترم ويقدر ويرجع في آراءه لشخصيات ولرموز التطرف والغلو، فهو بالتأكيد شخص متطرف.

إذا كنا جادين في دعوانا في محاربة التطرف والغلو، فعلينا أن نتجاوز مرحلة **التصريح** ضده، إلى **العمل** موحدين ضده، وأن نتبنى مشاريع جادة لمحاربته، لأن الاكتفاء بنقده وإعلان البراءة منه كلما حدثت إثارات طائفية هنا أو هناك، لا يجعل الغلو ينتهي ولن يزول، ولا يحد كذلك من خطره.

وماذا يمنع جميع المذاهب من مراجعة منظومتها الفكرية والتراثية، وتلك من الخطوات الشجاعة والجريئة التي هي على عاتق كل مذهب، وليس لمذهب أن يُعْفِي نفسه منها؛ إنها ضرورة تنقية التراث ومراجعة المنظومة الفكرية، التي تكون المسلم المعاصر على الحقد والكراهية وحمل الضغينة منذ الصغر، ويستوي في ذلك الكل؛ أهل الحديث والشيعة الإمامية والزيدية والإباضية والأشاعرة والماتريدية والظاهرية، كلهم سواء حتى لو كانوا على تفاوت؛ تقليلاً للكوارث التي نتمرغ فيها اليوم. ولا بد من ميثاق متابعة، في المناهج والمقررات المدرسية التي تصوغ الفكر، وتتابع حصاد الإصدارات والمطابع. فمما لا شكَّ فيه أنَّ الأحداث المتغيّبة على الطائفية وتكون الغلو والتطرف وراءها ثقافة، وراءها تراث، لا بد من تنقية العقول منها، وإذا لم نفعل تكن فتنة في الأرض وفسادٌ أكبر مما نراه ونشاهده اليوم. وفي تراث كل مذهب من التنقية، ما يشغله من الاشتغال بغيره.

هـ) مسؤولية الإعلام في دحر الغلو والتطرف:

تسهم العديد من أجهزة الإعلام اليوم وبشكل رهيب في نشر الغلو والتطرف، وبث سموم الطائفية، من خلال مجموعة قنوات تتبادل الحقد والكراهية؛ وغدا لكل مذهب قنواته التي تحتضن تراثه، تمجّده وترسّخه، وتدعو إليه على أنه حبل النجاة الوحيد والعصمة له؛ وتتفنن القنوات في تنويع البرامج ما بين وعظ وحوار وتاريخ، كلها تصبُّ في خانة تكريس فكرة المذهب، وهذا من الجانب البنائي. ولهذه القنوات المهمة الأخرى، وهي التفرغ للجانب الهدمي الذي يستهدف المذاهب الأخرى، وتعلو لغة التجريح والتخطئة بقدر ما زادت حدة الخلاف. وكان من آثار الإعلام الإسلامي أن عُوِّمت الفتوى، فأصبحت عابرة للقارات، فلم تراعى البيئات وأعراف المجتمعات، وسرعت من وتيرة الانتشار المذهبي.

وعلى جناح الإعلام ركب الفكر المتطرف الغالي موجة التكفير ونبد المخالف، وعلى "النت" تنامت المواقع الداعية إلى الغلو بشكل سرطاني، واتخذت من إمكانية التخفي والانطلاق من قلاع في الدول الغربية مكاناً لبث الفكر المتطرف، ولا سبيل إلى الحدّ

من الظاهرة إلا بمنظومة قوانين بين الدول الإسلامية لتجريم الإعلام المتطرف، وباتفاقيات تحاصرها وتضيّق الخناق عليها.

و) بناء مفهوم الأمة:

على رأس التحديات التي تواجه العالم الإسلامي بأكمله، حاجته الماسّة إلى إحياء مفهوم الأمة، فقد منّ الله تبارك وتعالى علينا بهذا المفهوم الجامع "مفهوم الأمة"، ويبيّن لنا أن الرابطة بيننا هي التي تجعل منا أمة واحدة، وتجعل منا خير أمة وتجعل منا الأمة الوسط، والأمة الشاهدة على الناس إلى غير ذلك، وحينما تنفرط هذه الجماعة التي سماها القرآن بالأمة، حينما ينفرط عقدها فإن دوائر الانتماء الأخرى كلّها يصيبها نوعٌ من التمزق، فسقوط مفهوم الأمة من عقول المسلمين وقلوبهم وآذانهم كان بمثابة المرض السرطاني الذي امتد إلى سائر الروابط بينهم، فأدى إلى تمزقها وتآكلها وانصراف الناس عنها، فصار ابن الطائفة الفلانية يقتل ابن الطائفة الآخر وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وإنّ إعادة بناء "مفهوم الأمة" واجب شرعيّ يقوم بعبئه الجميع بأن تتحمل أجهزة الإعلام والتعليم والمنابر والأسرة وكل قنوات التوجيه العام مسؤوليتها في إعادة بناء الانتماء إلى الأمة، وإشاعة ثقافة المشتركات وإعلائها على واقع المختلفات، لعلنا نستطيع أن نستدرك بعض الشيء، ونعيد مستوى التعارف بين أبناء الشعوب المسلمة يعرف بعضهم بعضاً.

ولا مناص من التكامل بين الأمة ودوائر الانتماء الأخرى، بأن تثبت دوائر الانتماء الأخرى التي هي دون الأمة، وهي مما قدره الله تعالى (شعوبا وقبائل ومذاهب)؛ بمعنى أنّ الانتماء إلى المذهب أو العرق أو الجنس أو أي شيءٍ آخر وجب أن يصبّ داخل الجماعة الكبرى التي هي الأمة، فإذا كان ذلك الانتماء يصب في دائرة بناء الأمة وتكريس وجودها فهو أمرٌ جيد وأمرٌ إيجابي، أما إذا عاد على الأصل الذي هو الأمة

بالنقض أو الإضعاف، فذلك يعني أن هناك خللاً يجب علينا أن نتداركه وأن نعمل على تصحيحه وإعادة البناء.

(ز) حاجة الفقه والعقيدة إلى أخلاق:

بُعِثَ النبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ رحمةً وهدايةً للعالمين، وبمبعثه تمت النعمة واكتمل الدين، وكانت الأخلاق روحَ هذا الدين وجوهره، بها مُدِحُ النبي ﷺ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وفي الجاهلية شهد له بالخلق، وبين أصحابه عرف بها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. ونطق المؤيد بالوحي بأحاديث كثيرة تُعَلِّي من قيمة الأخلاق، وترفع مقامات المتخلقين بين الناس وعند رب العالمين. وجدَّ علماء الإسلام في التأليف في باب الأخلاق. بل وانتهضت مدارس في التزكية وترقية الروح. وسارت الندَّ مع مدارس الفقه والكلام والفلسفة وسائر الفنون. ولم يفصل بين سائر العلوم والأخلاق، بل ارتبط الفقه بالأخلاق وكان ضمن مباحثهم. وما كان الفقه هو مجرد العلم بالحلال والحرام، إن لم يصحبه تورع عن إيذاء الخلق بأي وجه كان.

لكن، أمام تنامي نزعة التقنين الذي عرفه الفقه وكذا العقيدة والكلام، والتحامل على التوجه التربوي الذي كان يُعْنَى بالتزكية والأخلاق، أصيبت الأخلاق بالضمور، أمام الحدة التي عرفت المناظرات الفقهية والكلامية، وتحولت الأخلاق إلى ريب يحظى بجزء من العناية وليست روحاً لعلوم الشرع كما نشأت، بل كانت العقيدة والفقه تلقن مشفوعة بالأخلاق. ومع انزواء الأخلاق وفساد الطبع عند بعض العلماء ومتابعة العامة ترعرع التشدد وشمخ أنفه تدريجياً، ولسطوة الحكام وطريقة سياستهم للأمة طرفٌ في زرع التشدد، حين ضيق على الحقوق العامة والحريات، حتى غدا التشدد ديناً، واتسعت مساحته في الفكر الإسلامي، ودمغت بصمته في واقع المسلمين المتردي فزادته تأزماً.

إن الدعوة إلى الحوار والكلمة السواء ونبد الغلو ليس بدعا من القول، إن هو إلا الدعوة إلى أصول الإسلام الناصعة؛ فإن كانت الاختلافات بين الأديان، وبين المذاهب، أمراً واقعاً

لا مفر منه ولا مهرب، فإن حاجتنا إلى الأخلاق في الفقه والعقيدة، تؤكد ما تكون. ومحال أن يُعالج الاختلاف بالإقصاء أو بالعنف، والكل صائر إلى ربه يحاسبه على اعتقاده وقوله وفعله. ويبقى التعايش أمراً لا مفر منه، ولا سبيل للتعايش في ظل الغلو وغياب الحوار والدعوة إلى الكلمة السواء.

هل طالبنا أنفسنا بمستحيل؟ هل مبادئ شرعنا الحنيف، بما تحمله من مقاصد لا تسعفنا أن نحقق ما نريد؟ فإن اكتوى العالم الإسلامي بنماذج من الغلو والتعصب المذهبي أو الإقصاء في بعض مراحل، ألا يمكن أن ننظر إلى الحقب التي عرفت السلم والتسامح والتكامل وكثيراً ما عرفته الساحة الإسلامية عبر عصورها؟! الأمل منشود، واللواء معقود بالعلماء الربانيين وبالحكام العادلين، في إحقاق الحق.

وبالله التوفيق.

ثبت المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير: الكامل في التاريخ؛ تحقيق: التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997.
2. ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله؛ تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1994.
3. ابن قتيبة: الشعر والشعراء؛ دار الحديث، القاهرة، ط1423.
4. أبو حيان: البحر المحيط؛ تحقيق: صدقي محمد جميل؛ دار الفكر، بيروت، ط1420.
5. أبو زيد، بكر بن عبد الله: المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخرجات الأصحاب؛ دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417.
6. أبو زيد، بكر بن عبد الله: معجم الناهي اللفظية؛ دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1996.
7. أبو زيد، نصر حامد: الخطاب والتأويل.
8. أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001.
9. الأصبهاني، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ دار السعادة، مصر، ط1974.
10. التوحيد، أبو حيان: البصائر والذخائر؛ تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1، 1988.

11. خالد كبير علال: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، خلال القرنين 5-6هـ؛ دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، ط1، 2005.
 12. خلاف، عبد الوهاب: علم أصول الفقه وخلاصة التشريع؛ مطبعة المدني-المؤسسة السعودية بمصر، دط.
 13. الذهبي شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ تحقيق التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1993.
 14. الصنعاني، محمد بن إسماعيل: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد؛ تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد؛ الدار السلفية الكويت، ط1، 1405.
 15. الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن؛ تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000.
 16. علي، حرب: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر. دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1994.
 17. مذكور، إبراهيم: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف، القاهرة، دط.
 18. مسلم، بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم؛ تحقيق حمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط.
- البرامج الوثائقية:**
19. (الطائفية الدينية)، لقاء مع د. طه جابر العلواني؛ برنامج الشريعة والحياة؛ قناة الجزيرة؛ تاريخ: 2011/11/27.
 20. (الطائفية الدينية)؛ لقاء مع د. محمد عمارة؛ برنامج الشريعة والحياة، قناة الجزيرة؛ تاريخ: 2011/10/16. ﷺ

- 1) من أشهر ما حفظ عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَوْلُهُ: "أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا وَكَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هَذَا" ينظر: صحيح مسلم، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم 1218، 886/2؛ مسند الإمام أحمد حديث رقم 18966. وحديث وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَعَرَضُهُ، وَمَالُهُ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَالتَّقْوَى هَاهُنَا»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْقَلْبِ. ينظر المسند، حديث رقم 16019، 400/25.
- 2) نصر حامد، أبو زيد: الخطاب والتأويل؛ ص18.

(3) علي، حرب: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر؛ ص56.

(4) طبعا يستثنى من ذلك ما ثبت من تفسير للقرآن من النبي ﷺ وذلك محدود.

(5) المرجع السابق، ص56.

(6) ينظر: بكر بن عبد الله، أبو زيد: المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب؛ ص: 55.

(7) قال "كل من مقلدة المذاهب يدعي أن الحق ما هو عليه، وما عليه غيره فباطل وجوبا؛ قال الحنفكي وهو من أشهر المؤلفين الأحناف في الفقه الحنفي وفيها -أي في الأشباه- إذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا قلنا وجوبا مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب، وإذا سئلنا عن معتقدا ومعتقد خصومنا قلنا وجوبا الحق ما نحن عليه والباطل ما عليه خصومنا، وأيضا نسب الحنفكي أبيات إلى عبد الله بن المبارك في مدح الإمام أبي حنيفة ومنها: فلجنة ربنا أعداد رمل ... على من رد قول أبي حنيفة. ونسب إلى أبي الحسن الكرخي الحنفي أنه قال: كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وحديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ. وقال إمام الحرمين الجويني الشافعي نحن ندعي أن يجب على كافة العقليين وعامة المسلمين شرقا وغربا بعدا وقربا انتحال مذهب الشافعي ويجب على العوام الطغام والجهال الأنذال أيضا انتحال مذهبه بحيث لا يبعون عنه حولا ولا يريدون به بدلا". ينظر: الصنعاني، محمد بن إسماعيل: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد؛ ص: 16.

(8) خلاف، عبد الوهاب: علم أصول الفقه وخلاصة التشريع؛ ص: 260.

(9) في كتاب للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد عنوانه "معجم المناهي اللفظية" تعرض لرهاء 1500 مصطلح، وكان الضابط في إيرادها أنها من "المنهي عن التلفظ بها؛ لذاها، أو لمتعلقها، أو لمعنى منورائها" وتعرض لمسألة الأسماء والكنى والألقاب. ولم يناقش أثرها السلبي في التراث الإسلامي، وأشار من طرف إلى الموضوع لكن من زاوية لقب "أهل السنة" والاستثثار بالاسم هو تحت طائلة المناقشة. وقد وقع في مشكلة الرمي بالألقاب جريا على ما سبق إليه خط اجتهاد معين، فكل أحكامه ومناقشته للموضوع جاءت من منطلق أهل السنة. ينظر: أبو زيد، بكر بن عبد الله: معجم المناهي اللفظية؛ ص: 106 وما بعدها. وثمة بحث قيم عنوانه "فقه الكلمة ومسؤوليتها في الكتاب والسنة".

¹⁰ (للتفصيل في الموضوع أكثر، ينظر: خالد كبير علال، الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، خلال القرنين 5-6 هـ.

¹¹ (من شواهد هذا الارتباط مثلاً، ينظر ما نقله المؤرخون من الفتنة التي وقعت بين الحنابلة والشافعية ببغداد سنة: 447 هـ بسبب دعاء القنوت في صلاة الصبح، وترجيع الأذان، والجهر بالبسملة في الصلاة؛ وتطور الخلاف إلى نزاع، حتى ألزم أحد الطرفين البيوت، ولم يقدروا على حضور صلاة الجمعة ولا الجماعات، خوفاً من الطرف الآخر. ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 8/129. الذهبي شمس الدين: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ 23/30.

¹² (الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن؛ 18/692.

¹³ (اختلف أهل الأدب في نسب هذه الأبيات، فمنهم من نسبها إلى سلمان الفارسي، ومنهم إلى ثمار بن توسعة. من بكر بن وائل. ومنهم إلى قراد بن أرقم الفزاري. ينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، 1/528. التوحيدي، أبو حيان: البصائر والذخائر؛ 8/207.

¹⁴ (ينظر برنامج: الطائفة الدينية؛ برنامج الشريعة والحياة، مقابلة مع المفكر د. محمد عمارة، قناة الجزيرة؛ تاريخ: 2011/10/16.

¹⁵ (وقد عرف العالم الإسلامي فصولاً من الصراع وألواناً من الاعتداء باسم المذهبية، سواء كان ذلك على الصعيد الفقهي أو على الصعيد الكلامي أو الفلسفي. وكتب التاريخ طافحة بأحداث مأوساوية من التضحية بحرمات اتفق الفقهاء والعلماء على حرمتها وقد استهت بها بسبب مسائل يسع فيها الخلاف.

¹⁶ (ينظر: ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله؛ 2/934. الأصبهاني، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ 9/114.
